أدب الحوار النبوي

د. خليفة حامد محمد أحمد *

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبآلائه تُنال الغايات، وبرضائه تُدخل الجنات، والصلاة والسلام على السراج المنير، المبعوث رحمةً للعالمين، الذي هو بالمؤمنين رءوف رحيم، محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الحوار في الشريعة الإسلامية من الأمور المهمة إذ به يتم التبصير بمنهج الدين في محاورة الآخرين ، واحترام أفكارهم ، ومقارعتهم بالحجة إلى أن ينصاعوا إلى الحق ، كما قال تعالي ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1] ، وبفضل الله تعالى ثم بتطبيق منهج الإسلام في الحوار ، دخلت أمم كثيرة في دين الإسلام ، وكما هو معلوم أن الناس يدخلون في هذا الدين الحق لا لدنيا يبتغونها ، ولا لشخصيات يريدون مداهنتها ، وإنما يدخلون لما يرون من أخلاق وتعاليم سمحة تتطابق مع الواقع، فإذا رأوا ذلك انقادوا للدين وتمسكوا به واعتزوا به.

---

* أستاذ مشارك – مُعار ، عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم، هون، جامعة سرت .

[1] – سورة النحل الآية (125)

والمسلمون اليوم في حاجة ماسة لتطبيق تعاليم الإسلام ليقتدي بهم غيرهم، ومن هذه التعاليم الحوار الهادف البنَّاء الذي ينبغي التزامه مع جميع المخاطبين، والذي يتمثل في الحوار بالتي هي أحسن، والرفق بالمخاطب، وعدم تسفيهه، واحتقار رأيه، وهو ما كان يسلكه أسلافنا الأولون من الأنبياء والمرسلين والصالحين، فكللت دعواتهم بالنجاح، ونلاحظ في عالمنا اليوم انحراف كثير من المسلمين عن المنهج الحق في الحوار، وسلوكهم طرقا غير سوية، ولا مسئولة، الأمر الذي أفشل مسعاهم، وأخطأ هدفهم .

فهذه محاولة مني لتدارك ما يمكن تداركه، وإحياء بعض ما تمت إماتته، لعل ذلك يجد آذانا صاغية، وقلوبا واعية، لعلي أدخل في من بشرهم رسول الله ﷺ في الحديث : (إنه من أحيا سنة من سنتي قد أُميتت بعدي، فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا)[1] وما التوفيق إلا بالله العلي العظيم .

- **أسباب اختيار الموضوع:** تم اختيار هذا الموضوع للأسباب الآتية :-

1. إبراز أمر أصيل من أمور الدين الحنيف يعكس سماحته ورفقه بالبشرية جمعاء .
2. الرغبة الملحة في الخوض في هذا الموضوع والاطلاع على تفصيلاته وخفاياه .

- **أهمية الموضوع:** تبرز أهمية الموضوع في عدة أمور أهمها ما يلي :-

1. تزويد المكتبة الإسلامية ببحث ذي أهمية في حياة الناس عامة والباحثين خاصة .

[1] – أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، 45/5 ، حديث رقم 2677 وقال الترمذي: هذا حديث حسن

2. مساعدة الدعاة والمصلحين فـــي تطبيق الحوار بالحسنى في الدعوة إلى الله

- **أهداف البحث:** من أهداف البحث ما يلي :-

1. بيان المنهج الصحيح للحوار بين المسلمين وغيرهم .

2. التعرف على نماذج من حوارات السلف الصالح وأساليبهم في هذه الحوارات .

- **منهج البحث:** التزمت في بحثي المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على جمع المعلومات من مصادرها وتحليلها وأخذ الدروس منها ، وقد التزمت فيه بالآتي:

1. وثقت المعلومات من مصادرها على هوامش الصفحات، ملتزماً ترقيم كل صفحة على حده.

2. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها في هوامش الصفحات.

3. خرجت الأحاديث النبوية ، وحكمت على أسانيد الأحاديث التي لم أجدها في الصحيحين، والتي لم أجد لها حكماً من أئمة الحديث، واكتفيت ببيان حال الراوي موضع العلة عند الحكم على أسانيد الأحاديث الضعيفة .

- **الدراسات السابقة:** سبقني إلي الكتابة في موضوع الحوار عدد من الباحثين وقد تناول كل واحد منهم الحوار برؤية مختلفة ، ومن هؤلاء :-

1. عمر بن عبد الله كامل وجاء بحثه بعنوان آداب الحوار وقواعد الاختلاف، تحدث فيه عن الحوار ، وبين أهدافه ومقاصده، والأصول والقواعد التي تضبط مساره ، وآدابه النفسية والعلمية ، إلا إنه لم يتحدث عن الحوار النبوي، ولا الأمثلة عليه، وهذا ما وفَّيته في هذا البحث .

2. عبد الرب نواب الدين آل نواب ، وبحثه بعنوان وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، تحدث فيه عن وسطية الإسلام في مجالاتها المختلفة، وتكلم عن

الحوار ، وأهميته ، وأُصوله ، وغايته ، ومجالاته ، إلا إنه لم يتحدث عن الحوار النبوي إلا في مثال واحد ، وهذا ما استدركته في هذا البحث بالأمثلة المتنوعة ، والدروس المستفادة منها .

3. محمد أحمد الصالح ، وبحثه بعنوان : وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، تحدث فيه عن وسطية الإسلام في مُختلف مجالاتها ، ولم يتحدث عن الحوار إلا من خلال حديثه عن الدعوة الوسط، حيث بين أن الدعوة الوسط هي التي يُسلك فيها طريق الحوار لا العنف.

ولا شك أن هذه ليست كل المصادر التي تحدثت عن الحوار، كما أني وجدت في هامش المراجع التي اعتمدتها أسماء مراجع تتحدث عن الحوار ولكني لم أجدها مثل : كتاب فريضة الحوار، عمر عبد الله كامل، وكتاب الحوار آدابه وضوابطه ، للزمزمي.

- **هيكل البحث:** اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين تحتها مطالب على النحو التالي .

المبحث الأول : مفهوم الحوار وأهم آدابه وضوابطه.

المطلب الأول : مفهوم الحوار.

المطلب الثاني : أهم آداب الحوار وضوابطه.

المبحث الثاني : نماذج من الحوار النبوي مع المسلمين وغيرهم .

المطلب الأول : نماذج من الحوار النبوي مع الصحابة رضي الله عنهم .

المطلب الثاني : نماذج من الحوار النبوي مع مشركي مكة.

المطلب الثالث : نماذج من الحوار النبوي مع أهل الكتاب .

- خاتمة البحث .
- فهرس المصادر والمراجع .

المبحث الأول : مفهوم الحوار وأهم آدابه وضوابطه :

المطلب الأول: مفهوم الحوار:

الحوار لغة : حوارا ومحاورة وحويرا ومحورة، بضم الحاء، بوزن مشورة أي جوابا ، وأحار عليه جوابه، رده، وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة الحوير، تقول: سمعت حويرهما وحوارهما، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب ، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام ، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام فى المخاطبة[1] .

الحوار في الاصطلاح: هو المعنى اللغوي السابق نفسه، فهو إذاً: مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة أما الجدل: فهو: (إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة) ، ويفرق العلماء بين الحوار والجدل حيث إن الجدل مظنة التعصب والإصرار على نصرة الرأي بالحق والباطل والتعسف في إيراد الشبه والظنون حول الحق إذا برز من الاتجاه الآخر، وتوجد ألفاظ قريبة من الحوار والجدال منها، المحاجة والمناظرة والمناقشة والمباحثة[2].

هناك تداخل في المعنى بين الحوار والشورى ، وحقيقته هو أن الحوار يكون بين أي عدد من الناس، سواء أكانوا أفراداً أو جماعات ، ويكون كل من المتحاورين لديه رأي في الأمر موضع الحوار، وقد يتفق المتحاورون في نهاية الحوار أو يختلفون، حسب قوة الأدلة المطروحة لتأييد الآراء، بينما الشورى غالباً ما يطرح فيها واحد من الناس . سواء أكان حاكماً أو محكوماً . أمراً من الأمور

---

[1] – انظر لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور الإفريقي ، ت 711 ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1414هـ ، ج4ص218 .

[2] – انظر الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه لأحمد بن سيف الدين تركستاني ، وزارة الأوقاف السعودية ، ص9 .

ويريد رأي الآخرين فيه من حيث القبول أو الرد ، وقد تكون الشورى نادراً من اثنين أو جماعة مع مثلهم، والشورى لا بد لتمامها من حوار ؛ لأن كلاً من المستشارين يبدي مسوغات رأيه الذي رآه وهذا يسمى حواراً ، فكل شورى يصحبها حوارٌ ، وليس كل حوار بالضرورة تصاحبه شورى ، وقد كان النبي ﷺ يلجأ إليها في السِّلم والحرب، وحث أمته عليها ، وعليه سوف نتحدث في هذا البحث عن بعض الشورى المعروفة في تاريخ المسلمين ، لطبيعة الحوار الذي صاحبها .

المطلب الثاني: أهم آداب الحوار وضوابطه

أولاً: الحوار بالحسنى: لاشك أن الحوار بالحسنى أمر مطلوب في كل حوار أو نقاش أو أي تبادل للرأي والرأي الآخر ؛ لأن الحوار بالحسنى مفتاح الدخول لقلوب الآخرين ، وقد حث الله تعالى عليه في كثير من الآيات الكريمة منها قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

وقد كان النبي ﷺ يلتزم الحسنى في حواره مع جميع من حاورهم من البشر مسلمهم وكافرهم ، فقد كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، كما كان بغيرهم من المشركين وأهل الكتاب ، لطيفاً ، ودوداً ، غفوراً، على الرغم مما يصدر عنهم من الإساءة والشدة والغلظة تجاه رسول ﷺ حينما يكون بينهم وبينه حوار خاصة فى مسائل العقيدة ، فانظر إليه لما قال له خباب بن الأرت ألا تدعوا الله لنا[3]،

---

[1] – سورة النحل الآية (125)

[2] – سورة العنكبوت الآية (46)

[3] – أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل والهوان علي الكفر ، 20/9 حديث رقم 6943 عن خباب بن الأرت ﷺ

وذلك لما رأوا أنهم قلة مستضعفة، يتعرضون للذل والهوان بكرةً وعشياً من المشركين ، فلم يشتط رسول الله ﷺ على خباب ولم يقبح ويوقح، بل رده رداً جميلاً، وبأسلوب حكيم وضرب له المثال ، ووضح له أن طريق هذا الدين محفوف بالمخاطر والابتلاءات فإن صبرتم عليها كما صبر أسلافكم فستنتصرون كما انتصروا.

وانظر إليه ﷺ لما هاجر إلى الطائف ودعا زعماءها للدخول في الإسلام ، فلم يجيبوه إلى ما قال ، وردوا عليه رداً قبيحاً ، وأغروا سفهاءهم ليرموه بالحجارة فرموه حتى أدموا قدميه الشريفتين[1] ، فلم يبادلهم الإساءة، ولم يتوعدهم ، بل لما أتاه ملك الجبال وطلب منه الانتقام له من أهل الطائف قال له ﷺ: إني أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً، وانظر إليه ﷺ لما أراد عمر رضي الله عنه الانتقام من ذي الخويصرة لما قال للنبي ﷺ : اعدل فإنك لم تعدل ، فقال له النبي ﷺ : دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[2]، مع أن هذا المنافق أغلظ الرد على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ في منعة من قومه، فلم يأذن لهم بالانتقام منه ، إنها أخلاق الأنبياء.

وغير ذلك من المواقف التي تبرهن أنه ﷺ ما كان يتصرف في أمر بهمجية وعشواء، وإنما كان ديدنه الحكمة والحسنى، وهو الطريق الذي ينبغي لنا أن نسير عليه، كيف لا وهو طريق خطه لنا خير خلق الله ومرشدنا إلى صراط الله المستقيم فإن ابتغينا الهدى في غيره ضللنا .

---

[1] – انظر القصة في صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقى النبي ﷺ من أذي المشركين والمنافقين ، 1420/3 حديث رقم 1795 عن عائشة رضي الله عنها .

[2] – القصة أخرجها البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ، 200/4 حديث3610 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وجاء في زهرة التفاسير: ولما صدع النبيﷺ بأمر ربه، وتجردت قريش مناوئة بكل ما أوتيت من قوة ، آذت الضعفاء وفتنتهم عن دينهم وهاجر إلى الحبشة من هاجر فرارا بدينه وحماية ليقينه، فهل يضعف ذلك من ندائه بقوة الحق والإيمان، وهل يخرجه ذلك عن حد الحكمة، بل إنه يستمر هاديا مرشدا؛ ولذا جاء أمر الله بأن يستمر في دعوته بالحكمة والموعظة ولا يخرجه ما يفعلون إلى غير الحكمة، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] ادع مبلغا رسالة ربك ومتبعا سبله وهدايته إلى سبيل ربك ، وسبيل الله هو الصراط المستقيم وهو التوحيد وشريعته التي لا عوج فيها ولا أمت بل وهو سبيل الحق الهادي المرشد بالحكمة والموعظة، والحكمة هي القول المحكم الذي يشتمل على الدليل الهادي والبرهان القاطع، والموعظة هي بيان العبر، وضرب الأمثال بما وقع للماضين، وهى المثلات التي وقعت للناس، والموعظة تشمل هذا وتشمل بيان منافعهم في إجابة دعوة الله، والمضار التي تنزل بهم إن أعرضوا وضلوا عن سواء السبيل[2] .

وجاء في أوضح التفاسير: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ القرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ القول الرفيق الرقيق، الذي ينفذ في القلوب، ويحبب إلى النفوس ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِي أَحْسَنُ﴾ أي بالرفق واللين؛ وإذا كان الكفار يُجادلون بالرفق واللين؛ فما بالك بالمؤمنين الموحدين[3].

---

[1] – سورة النحل، الآية (125) .

[2] – انظر زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفي المعروف بأبي زهرة ، ت 1394هـ ، دار الفكر العربي ، ج8ص4304 .

[3] – انظر أوضح التفاسير لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ، ت 1402هـ ، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها ، ط6 ، 1383-1964م ص335 .

ثانياً: رد الحوار إلى الله ورسوله وتجنب المراء فيه: وهذا أمر في غاية الأهمية، وهو أيلولة الحوار إلى المنهج الشرعي الحنيف، حتى لا يدور الحوار في حلقة مفرغة ، أو يدور وفق أهواء وأغراض المتحاورين، وهذه مرجعية دل عليها الله تعالى في كتابه حيث قال : ﴿يَا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1]، وقوله تعالي ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ في مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

وقد كان رسول الله ﷺ لا يحيد عن أمر لله فيه مقال وكذلك الصحابة فإنهم كانوا إذا اختلفوا أو تحاوروا في أمر ردوه إلى الله ورسوله، وما حادثة الحباب بن المنذر ﷺ إلا تجسيدا لهذا المعنى ، وذلك حينما حاور رسول الله ﷺ في شأن المنزل الذي نزله يوم بدر فقال لرسول الله ﷺ : أهذا منزل أنزلكه الله تعالى لا تتقدمه ولا تتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال ﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة[3]، وعندها أشار إليه الحباب برأيه الذي رآه.

فالبحث عن الحق من شيم النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، فكانوا رضي الله عنهم في حوارهم واختلافهم مع غيرهم يلتزمون الحق ، سواء أكان معهم أو مع غيرهم ، فالناظر إلي سيرة الصحابة رضي الله عنهم يجدهم عند اختلافهم يردون الأمر إلى الله ورسوله، نعم حدث بينهم خلاف في بعض الأحكام الفرعية ، وهو ناجم عما حباهم الله به من فهم اقتضت حكمة الله أن يكون مختلفاً بين جميع بني البشر، ولكنهم لم يطلبوا الاختلاف من أجل

[1] – سورة النساء الآية (59)

[2] – سورة النساء الآية (65)

[3] – انظر القصة وتخريجها، ص14

الاختلاف ، أو لغرض دنيوي أو هوى نفس، فكان الواحد منهم لمَّا يعلم أن الحق مع أخيه يُسلم أمره إلى الحق ولا يتخطاه قيد أُنملة ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ، أنه لما خرج بالناس إلى الشام وفى الطريق علم أن وباء الطاعون قد حل بالشام، فاستشار الصحابة في الأمر فاختلفوا ، حتى جاءه عبد الرحمن بن عوف وقال إن عندي من هذا علما ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه، فحمد عمر ﷺ الله ثم انصرف[1].

ومن ذلك ما ثبت : أن الجدة جاءت في عهد أبي بكر تلتمس أن تورث، فقال أبو بكر: ما أجد لك في كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر شيئا، وسأسأل الناس العشية، فلما صلى الظهر قام في الناس فسألهم، قال المغيرة بن شعبة: قد سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس، قال: هل سمع ذلك معك أحد؟، فناداه محمد بن مَسْلَمَة، فقال: قد سمعت رسول اللهﷺ يعطيها السدس، فأنفذ ذلك أبو بكر[2] وقد سار على نهجهم سلفنا الصالح من التابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين .

كما إن المؤمن الحق يبحث عن الحق دائماً ، لأن الحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها فهو أولى الناس بها ، كما أنه لا ينقاد إلى المراء المنهي عنه الذي لا يقود إلى نتيجة علمية بل يقود إلى حلقة مفرغة تفضي إلى تعميق الخلاف بين المتحاورين ، وقد بشر النبي ﷺ تارك المراء بالخير كما في الحديث «أنا

[1] – القصة أخرجها مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ، 1740/4 حديث 2219 عن ابن عباس ﷺ

[2] – أخرجه النسائي في السنن الكبرى ، كتاب الفرائض ، باب ذكر الجدات والأجداد ومقادير نصيبهم ، 111/6 حديث 6306 عن قُبيصة بن ذؤيب ﷺ ، وإسناده صحيح ورجاله ثقات .

زعيم بيت في ربض الجنة[1] لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[2].

قال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ، وقال ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه ، وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته[3] .

ثالثاً: أن يدور الحوار في المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد: يتفق العقلاء على أن ثوابت الدين، وأمَّهات الفضائل، وأمَّهات الرذائل، لا يتناولها الحوار.

ففي الإسلام الإيمان بربوبية الله وعبوديَّته، واتِّصافه بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، ونبوة محمدﷺ، والقرآن الكريم كلام الله، والحكم بما أنزل الله، وحجاب المرأة، وتعدد الزوجات، وحرمة الربا، والخمر، والزنا؛ كل هذه قضايا مقطوع بها لدى المسلمين، وإثباتها شرعاً أمر مفروغ منه ، إذا كان الأمر كذلك فلا يجوز أن تكون هذه محل حوار أو نقاش مع مؤمن بالإسلام لأنها محسومة[4].

---

[1] – ربض الجنة : ما حولها خارجا عنها ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 185)

[2] – اخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ، 253/4 ، حديث رقم 4800 عن أبي أمامة ﷺ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 456/2 ، وقال : رواه الطبراني في الثلاثة وإسناده حسن إن شاء الله .

[3] – انظر أحياء علوم الدين ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ت 505 ، دار المعرفة ، بيروت ، ج1 ص26

[4] – وقد يسوغ النقاش فى فرعيات من الحجاب؛ كمسألة كشف الوجه، فهي محل اجتهاد؛ أما أصل الحجاب فليس كذلك ، والربا محسوم؛ وقد يجري النقاش والحوار فى بعض صوره

ومن هنا فلا يمكن لمسلم أن يقف على مائدة حوار مع شيوعي أو ملحد في مثل هذه القضايا ؛ لأن النقاش معه لا يبتدئ من هنا، لأن هذه القضايا ليست عنده مُسَلَّمة، ولكن يكون النقاش معه في أصل الديانة؛ في ربوبيَّة الله، وعبوديَّتة ونبوّة محمدﷺ ، وصِدْق القرآن الكريم وإعجازه[1].

رابعاً: التسلح بالعلم والمعرفة: فعلى المحاوِر أن يتقوى بالعلم والمعرفة في حواره، وأن يدعم آراءه بالأدلة والحجج التي تجعل المحاور معه يطمئن لرجاحتها وأحقيَّتها، فيخضع للأمر ويُسلم له، وفي ذلك إشارة للدعاة، وكل من يريد أن يسلك سبيل الحوار، إلى التسلح بالعلم والمعرفة، لأن ذلك سيكون سبيلاً لنجاحهم في دعوتهم.

وقد جعل الله العلم من علامات التفاضل بين البشر، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3]، كما أن النبيﷺ قال: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين[4].

والعلم سلاح المحاور الذي يخوض به حواره، ويقوي به موقفه، ويقوده إلى آفاق النجاح، فإذا كان ذلك كذلك، فإنه حري بالمحاور أن يتزود بالعلم، وينأى

وتفريعاته ، انظر وسطية الإسلام ودعوته للحوار ، عبد الرب نواب الدين آل نواب ، موقع وزارة الأوقاف السعودية ، ص32

[1] – انظر وسطية الإسلام ودعوته للحوار ، ص31-32

[2] – سورة المجادلة، الآية (11)

[3] – سورة الزمر، الآية (9)

[4] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، 39/1 حديث رقم71 عن معاوية بن أبي سفيانﷺ .

بنفسه بعيداً عن الجهل، لأن الجاهل ما ينبغي أن يُحاوِر أو يحاوَر إلا في حدود الثوابت التي يفهمها، أما فيما يتعلق بالفكر ومقاصد الشرع فلا.

خامساً: الحرص على انتقاء العبارات التي تجلب وُد المحاور معه: مثل (ما رأيك في كذا، اشر على في كذا، هلم نتحاور في كذا)، وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك مع الصحابة رضي الله عنهم، جماعةً وأفراداً، كما ثبت في مشورته لهم في غزوة بدر، حيث قال: أشيروا عليَّ أيها الناس[1]، أو في مشورته لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مصير أسرى بدر، حيث قال لهما: ما ترون في هؤلاء الأسرى[2] ؟.

وعلى المحاورين لا سيما الدعاة منهم البعد عن استخدام الألفاظ القاسية، مثل أنت على باطل، أو على ضلال، أو أنت تتشبه بالكفار، والبعد عن كل ما من شأنه أن يفسد بيئة الحوار.

سادساً: الحرص على إدخال غير المسلمين في الإسلام: فالداعية إلى الله يتحمل كل ما يصدر عنهم من تصرفات، مقابل أن يهتدوا إلى الإسلام، وهذا دأب رسول ﷺ في حياته كلها، فقد ثبت عنهﷺ أنه جاء إلى عمه أبي طالب في مرضه الذي تُوفي فيه وقال له: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله[3].

ولما جاء أعرابي ووجد النبيﷺ نائماً فأخذ الأعرابي سيف رسول اللهﷺ وهزه في وجه رسول اللهﷺ وقال: من يمنعك مني؟ قال النبيﷺ: الله، فوقع السيف من الأعرابي، فأخذه رسول اللهﷺ وأشهره في وجه الأعرابي وقال له: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ، فقال له: تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول اللهﷺ؟

[1] – انظر القصة وتخريجها، ص14 .

[2] – انظر القصة وتخريجها، ص15

[3] – انظر تخريجه، ص21

فقال الأعرابي: أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع من يقاتلك، فعفا عنه النبيﷺ، فلما ذهب إلى قومه قال لهم: جئتكم من عند خير الناس[1].

فلا بد للمسلم والداعية إلى الله أن يتحمل في سبيل دعوته ما كان يتحمله رسول اللهﷺ، إذا كان هذا التحمل يقود إلى هداية الناس، وإصلاح حالهم في الدنيا والآخرة.

سابعاً: عدم التنازل عن العقيدة والثوابت الإسلامية، مهما كانت الأسباب، والمغريات، ومهما كانت شفاعة الشافعين، وقدوتنا في ذلك رسول اللهﷺ حينما قدمت له قريش كل ما تملك من مغريات الدنيا، من مال، وملك، ونساء، لكنه رفض ذلك كله[2] .

وحينما جاء كفار قريش لأبي طالب عم رسول اللهﷺ، وطلبوا منه أن يأمر ابن أخيه محمداًﷺ بالكف عن آلهتهم، فكلمه عمه أبو طالب بذلك، فقال له رسول اللهﷺ قولته المشهورة: يا عم والله لو وضعوا الشمس على يميني، والقمر على يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يتمه الله أو أهلك دونه[3].

لأن الاستجابة إلى هذه المغريات تُخرج الإنسان عن الملة، وتُدخله في دائرة الكفر، فلا مجال لمسلم عاقل أن يفعل ذلك، فكيف به إذا كان داعية إلى الله تعالى.

ثامناً: سلوك الوسائل المشروعة، لتحقيق الغايات المشروعة: وهذا مما يجب أن يحرص عليه كل المسلمين لا سيما الدعاة إلى الله تعالى، لأن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، وقد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، من أكل الطيبات

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الغزوات، باب غزوة ذات الرقاع، 119/4، حديث رقم4135 عن جابر بن عبد اللهﷺ .

[2] – انظر القصة وتخريجها، ص23

[3] – انظر القصة وتخريجها، ص12

من الرزق مع التزام العمل الصالح، وقد ثبَّت هذا المبدأ في كتابه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[1]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2]، وفي ذلك دلالة على أن الغايات المشروعة لا يباح الوصول إليها إلا عبر الوسائل المشروعة، وهذا أمر سار عليه جميع الأنبياء والرسل، وصالح المؤمنين، وهو ما يجب أن يسير عليه من بعدهم من المسلمين.

قال محمد سعيد البوطي: لأن فلسفة هذا الدين تقوم على عماد الشرف والصدق، في كل من الوسيلة والغاية، فكما أن الغاية لا يقومها إلا الصدق والشرف وكلمة الحق، فكذلك الوسيلة لا ينبغي أن يخطها إلا مبدأ الصدق والشرف وكلمة الحق[3].

تاسعاً: التأكيد على الثوابت المتفق عليها بين الأديان السماوية: عند محاورة أهل الكتاب، مثل نبوة موسى وعيسى، وتحريم الزنا، والقصاص من الجاني، وغيرها من الأحكام المباحة أو المحرمة في الإسلام والتوراة والإنجيل، وإرشادهم إلى الآيات التي تبشر من يؤمن منهم ويعمل صالحاً بالخير العظيم، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

وقد كان النبيﷺ يجادل أهل الكتاب ويرشدهم إلى العمل بأحكام دينهم التي توافق أحكام الإسلام، ومن ذلك أنه لما حاور عدي بن حاتم، ودعاه إلى الإسلام، قال عدي: أنا من أهل دين، فقال له النبيﷺ: ألست من الركوسية؟- طائفة من

---

[1] – سورة المؤمنون، الآية (51)

[2] – سورة البقرة الآية (172)

[3] – انظر فقه السيرة ، محمد سعيد البوطى ، ص87 ،

[4] – سورة البقرة الآية (62)

النصارى– قال: نعم، قال له النبيﷺ: فإنه لا يحل لك المرباع[1] – وكان حاتم يأكل مرباع قومه– فأسلم حاتم وحسن إسلامه[2].

أيضاً لما حاور اليهود لما سألوه عن عقوبة الزنا، قال لهم: ما تجدون في التوراة على من زنا؟ فأخفوا العقوبة، وأجابوه بغيرها، فقال لهم: فأتوا بالتوراة فأتلوها إن كنتم صادقين، فلما جاءوا بالتوراة ثم تلوها، كانت عقوبة الزاني المحصن في التوراة هي الرجم[3]، وهي تطابق عقوبة الزاني المحصن في الإسلام، وهكذا كان النبيﷺ يقيم الحجة عليهم من دينهم الذي يدينون، وقد دخل الإسلام منهم كل من في قلبه حبٌ للحق، وهذا الذي ينبغي أن يلتزمه كل داعية إلى الله يريد لدعوته النجاح .

العاشر: قبول الرأي الآخر: وهذا مما يجب على المسلم لا سيما الداعية إلى الله مراعاته، وبه تُمهَّد بيئة الحوار ليخرج بنتائج وحلول للقضايا التي طُرِحت، وما ينبغي لمسلم كائناً من كان أن يفرض رأيه على الآخرين، أو يقلل من قدر آرائهم، أو يسخر منها، فإنه إن فعل ذلك يكون قد أغلق باب الحوار، وهذا ما لا يقدم عليه عاقل أصلاً.

وما تفرق المسلمون وأصبحوا فرقاً وطوائف تُعادي بعضها بعضاً، إلا بعد أن تركوا قبول الرأي الآخر، وتقوقعوا في آرائهم وفكرهم، فكانت النتيجة أن تفرقوا

---

[1] – المرباع: هو أخذ ربع الغنيمة قبل القسمة .

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه مختصراً ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام 197/4 حديث3595 عن مُجِلَّ ابن خليفة عن عدي بن حاتم به ، وأخرجه بلفظه أحمد في المسند ، 119/32 حديث رقم 19378 عن أبي عبيدة بن حذيفة بن اليمان ﷺ ، و حديث أحمد إسناده حسن فيه أبي عبيدة بن حذيفة بن اليمان قال عنه ابن حجر مقبول وباقي رواته ثقات

[3] – أخرج القصة مسلم في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ، 1326/3 حديث1699 عن عبد الله بن عمرﷺ

إلى طوائف وفرق يصعب حصرها، وكل فريق بما لديهم فرحون، والكثير من هذه الفِرَق تعتقد أن ما هي عليه من آراء ومنهج هو الحق، وما سواه وإن صدر من أعلم علماء المسلمين فهو باطل، فوصل بهم الأمر أن كفروا بعضهم بعضاً، بل قاتل بعضهم بعضاً، مثل ما حدث من جماعة ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية، باستباحتهم دماء المسلمين الذين لم يبايعوا أميرهم، وانشغل المسلمون بهذا الخلاف الذي هو في أغلب الأحيان خلافاً في الفروع، وليس خلافاً في أصول الدين وثوابته، انشغلوا به عن قضيهم الأساسية، ألا وهى تبليغ الدين الإسلامي إلى مشارق الأرض ومغاربها، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

المبحث الثاني: نماذج من الحوار النبوي مع المسلمين وغيرهم

لا شك أن النبي ﷺ كان يلتزم الحوار في أموره كلها عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[1] وقوله تعالى﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

ولا شك أن الشورى لا تتم إلا بالحوار، لذلك كان النبي ﷺ يحاور الصحابة رضي الله عنهم في أمور الحياة كلها سواء كان هذا الحوار في السلم أو في الحرب، متى كان الحوار لابد منه لسير عجلة الحياة بالأُلفة والمحبة ، أو كان الحوار يقود إلي نتيجة أفضل في ميدان الحرب مما ينعكس إيجاباً على نفوس المقاتلين ، كما أنه ﷺ كان يحاور غير المسلمين متى ما علم أن الحوار قد يقودهم إلى قبول الحق ، الأمر الذي قاد الكثيرين منهم إلى الدخول في الإسلام ، فالحوار من سنته ﷺ التي تركها لنا فيجب علينا الاستنان بها والسير على نهجها .

المطلب الأول: نماذج من الحوار النبوي مع الصحابة رضي الله عنهم:-

أولاً: حواره ﷺ مع خباب بن الأرت ﷺ :-

روى البخاري عن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، ما دون لحمه وعظمه،

[1] – سورة الشورى الآية (38)

[2] – سورة آل عمران الآية (159)

فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون[1]

هذا الحوار يرشدنا إلي ما كان يتمتع به النبي ﷺ من عزيمة وثقة وثبات في الدعوة إلى الله والسير في طريقها حتى يتمها الله أو يهلك دونها.

وقريب من هذا ثباته ﷺ يوم أن طلب منه عمه أبو طالب الكف عن آلهة قريش فقال له : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر على يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، إلى أن يظهره الله أو أهلك دونه[2].

هذا الثبات يعضده استصحاب تضحيات إخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين الذين لاقوا أصنافاً من العذاب والقتل ، وما ذلك إلا لأنهم قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، أمثال إبراهيم خليل الرحمن الذي أُلقي في النار فنجاه الله منها ، وموسى الذي طارده فرعون بجنوده فنجا الله موسى وأغرق الباقون ، وأيوب الذي مسه الضُّر فكشفه الله عنه ، ويونس الذي التقمه الحوت فنجاه الله منه ، وما أحدثه أصحاب الأخدود بالمؤمنين ، وعدوان بني إسرائيل على الأنبياء وقتلهم حتى قال الله فيهم ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[3].

---

[1] – تقدم تخريجه، ص2 .

[2] – انظر السيرة النبوية لابن هشام: ج 1، ص 265– 266 ، وأخرج هذه القصة البيهقي في دلائل النبوة (2/ 187) وأبو يعلى في مسنده (12/ 176) ، والحاكم في المستدرك (3/ 577) بسياق آخر عن عقيل بن أبي طالب، وقال الهيثمي في المجمع (6/ 15) : «رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوّله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح» ، قلت : إسناده حسن فيه يونس بن بكير ، قال فيه يحيى بن معين : صدوق وطلحة بن يحيى بن عبيد الله ، قال فيه ابن معين: ثقة وباقي رواته ثقات

[3] –سورة آل عمران الآية (181)

وغير ذلك من النماذج التي لا يمكن حصرها في هذا البحث ، ولكن هذه الابتلاءات لم تزدهم إلا إيماناً ، وقد حكى الله عنهم فقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[1] ، فكيف به ﷺ أن ينكص عن الدعوة أمام كل هذه المعطيات من منهج واضح للأنبياء السابقين وابتلاءاتهم فيه ، وأمام محفزات الآخرة عند الثبات على الدعوة ، من الفوز بجنة عرضها السموات والأرض وما فيها من نعيم ، لا شك أنه ﷺ قدوة الأولين والآخرين في الثبات على مبدأ الحق ، والسير في طريق الدعوة وإن حفته المخاطر.

ثانياً: حواره ﷺ مع الصحابة حول تقدير الموقف واختيار المنزل يوم بدر:-

روى أحمد وغيره عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه في غزوة بدر، استشار أصحابه ، في خوض المعركة، فأشار عليه المهاجرون بخوضها، وتكلموا خيرا، ثم علم الأنصار أنه يريدهم، فقال له سعد بن معاذ وهو سيد الأنصار: يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يارسول اللهﷺ لما أردت، فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، وإنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله ، وقال غيره مثل ذلك، فسر الرسول ﷺ لذلك، وقال: سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، إما العير، وإما النفير، ثم سار الرسول ﷺ حتى وصل أدنى ماء من بدر فنزل به، فقال الحباب بن المنذر: يا رسول اللهﷺ! هذا منزل أنزلكه الله تعالى: لا تتقدمه ولا تتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول ﷺ بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فأشار عليه الحباب بن المنذر

[1] – سورة الأحزاب الآية (23)

أن يسير إلى مكان آخر هو أصلح وأمكن للمسلمين من قطع ماء بدر عن المشركين، فنهض الرسولﷺ ، وأصحابه حتى وصلوا إلى المكان الذي أشار به الحباب، فأقاموا فيه[1].

من هذه المشورة التي طلبها رسول الله ﷺ من الصحابة ، يمكن أن نخلص إلى بعض الدروس والعبر التالية:-

1- التزامهﷺ بمبدأ التشاور مع أصحابه، وإذا استعرضنا حياتهﷺ، وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية، ومن أجل هذا أصبحت الشورى في كل ما لم يثبت فيه نص ملزم من كتاب أو سنّة، أساساً تشريعياً دائماً لا يجوز إهماله، أما ما ثبت فيه نص من الكتاب أو حديث من السّنة أبرم به الرسولﷺ حكمه، فلا شأن للشورى فيه ولا ينبغي أن يقضى عليه بأي سلطان[2].

2- وفى قبول الرسولﷺ إشارة الحباب بن المنذر بالتحول من منزله الذي اختاره للمعركة يوم بدر، وكذلك في قبول استشارته يوم خيبر، ما يحطم غرور الديكتاتوريين المتسلطين على الشعوب بغير إرادة منها ولا رضى، هؤلاء الذين يزعمون لأنفسهم من الفضل في عقولهم وبعد النظر في تفكيرهم ما يحملهم على احتقار إرادة الشعب، والتعالي عن استشارة عقلائه وحكمائه ومفكّريه، إذ كان رسول الله ﷺ الذي علم الله منه أكمل الصفات ما أهَّلَه لحمل أعباء آخر رسالاته

[1]-انظر السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، ت213هـ ، تحقيق مصطفي السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط2: 1375هـ-1955م ، 620/1،614 بتصرف ، والقصة أخرجها أحمد في مسنده ، 21/21 حديث رقم 13296 عن أنس بن مالك ﷺ ، بإسناد صحيح ورواته ثقات .

[2] – انظر فقه السيرة لمحمد سعيد رمضان البوطي ، ط: 25 ، 1426 ، دار الفكر ، دمشق ، ص159 ، بتصرف .

وأكملها يقبل رأي أصحابه الخبيرين في الشؤون العسكرية، وفي طبيعة الأراضي التي تتطلبها طبيعة المعركة دون أن يقول لهم: إني رسول الله، وحسبي أن آمر بكذا، وأنهى عن كذا، إذ قبل منهم مشورتهم، وآراءهم في ما لم ينزل عليه وحى.

فكيف بالمتسلِّطين الذين رأينا كثيراً منهم لا يتفوَّق على الناس بعقل ولا علم ولا تجربة، بل بتسلُّطه على وسائل الحكم بعد أن تواتيه الظروف في ذلك؟ كيف بهؤلاء الذين هم أدنى ثقافة وعلم وتجربة من كثير ممن يحكمونهم، ألا يجب عليهم أن يستشيروا ذوي الآراء، ويقبلوا بنصيحة الناصحين وحكمة المجربين[1]

ثالثاً: حواره ﷺ مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مصير أسرى بدر:-

وذلك بعد انجلاء غزوة بدر حيث كان النصر فيها حليف المسلمين، وغنم فيها المسلمون عتاداً عظيماً ، وأسروا من المشركين أعداداً كبيرة، فقد روى مسلم عن ابن عباس أنه قال: فلما أسروا الأسرى، قال رسول اللهﷺ لأبي بكر، وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسرى؟» فقال أبو بكر: يانبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول اللهﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عُقيل بن أبي طالب في ضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، قال عمرﷺ : فهوى رسول اللهﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول اللهﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول ﷺ: أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض على عذابهم

[1] – انظر السيرة النبوية – دروس وعبر لمصطفى بن حسني السباعي ، ت2384 ، المكتب الإسلامي ، ط3: 1405هـ-1985م، ص117-118

أدنى من هذه الشجرة – شجرة قريبة من نبي الله ﷺ– وأنزل الله عز وجل﴿مَا كَانَ لِنَبِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

من خلال هذا الحوار القيم يمكن استخراج الدروس والعبر التالية:–

1.إن المشورة وعظائم الأُمور صنوان ، فمتى وجدت الأمور العظيمة في حياة المسلمين ، فلا بد لهم من مشورة أهل الرأي والخبرة ، لأن الكمال لله وحده ، ولا يوجد أحد يدعي كمالاً في العقل والرأي، فإذا كان ذلك كذلك ، فيستحب جبر نقص العقل والرأي بالمشورة ، وهذا أمر حرض الله عليه في كتابه حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2]، ومشى عليه رسولنا ﷺ في حلَه وترحله ، وحث أُمته على التزامه ، وهذا طريق النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

2.إن من يُستشار في عزائم الأمور ، عليه أن يقدم الرأي الذي يمليه عليه عقله ، والذي يرى فيه تحقيق المصلحة العامة ، وعليه أن يقول ذلك بلا مداهنة لحاكم ، أو زعيم ، أو غيره ، وهذا يَظْهر لنا جلياً في اختلاف الرأي بين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ، حيث قالا رأييهما دون البحث عن الرأي الذي يريده رسول الله ﷺ ، وهذا ما نفقده نحن اليوم، حيث أصبح أصحاب الرأي والخبرة ، من علماء ومصلحين وغيرهم، ممن يستشيرهم السلطان، يغدون ويروحون بآرائهم ، حيث يغدو السلطان ويروح ، إلا من رحم الله ، فلا يقولون للحاكم لا ، في رأي رآه، ولا يُنصح ولا يُخالف ، حتى سُمُّوا علماء السلطان ،

[1] – سورة الأنفال الآية (67) – والقصة أخرجها مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، 1383/3 حديث1763 عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

[2] – سورة الشورى ، الآية (38)

وفقدت هيئاتهم التي يديرون ثقة الشعب ، أما سمع هؤلاء وهؤلاء عن قول عمر بن الخطابﷺ : أخطأ عمر وأصابت امرأة[1].

لا شك أن التشبث بالدنيا وزينتها أنسى هؤلاء واجبات فرضت، وحدودا حُدَّت ، وسننا سُنَّت ، فقد نسوا أو تناسوا قوله تعالى : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2] ، وقوله ﷺ : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء[3] وقوله ﷺ فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»[4]، ولا خلاص من ذلك إلا بالرجوع إلي هدي أسلافنا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا.

3. إن القائد المسلم بعد أن يستشير أصحابه ، عليه أن يختار الرأي الذي يحقق المصلحة العامة، دون انحياز أو محاباة لأحد ، إذا كانت المسألة المطروحة للشورى يستوي في معرفتها جميع المستشارين ، كما أنه غير مكلف باختيار رأي الأغلبية .

---

[1] – انظر القصة في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، لإسماعيل بن كثير ، ت774هـ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، ط1، 1411-1991م، عن عمر بن الخطاب ﷺ

[2] – سورة العنكبوت ، الآية (64)

[3] – أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا ، 560/4 حديث 2320 عن سهل بن سعد ﷺ وقال الترمذي هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه .

[4] – أخرجه مسلم في صحيحه، الزهد والرقائق، 2273/4 برقم961 عن عمرو بن عوف ﷺ

ويقول القرطبي في هذا: المستشير ينظر في اختلاف الآراء، وينظر أقربها إلى الكتاب والسّنة إن أمكنه، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منها عزم عليه، وأنفذه متوكلا عليه[1].

رابعاً: حواره ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم في الخروج أو البقاء بالمدينة يوم أحد:-

وذلك عندما علم رسول الله ﷺ أن المشركين خرجوا قاصدين المدينة لحرب المسلمين ، فاستشار رسول الله ﷺ الصحابة في أمر الخروج للقائهم خارج المدينة ، أو البقاء فيها والدفاع عنها ، وكان من رأي الرسولﷺ وعدد من الصحابة ألا يخرج المسلمون إليهم، بل يظلون في المدينة، فإن هاجمهم المشركون صدوهم عنها، ولكن بعض شباب المسلمين وبعض المهاجرين والأنصار، وخاصة من لم يحضر منهم معركة بدر ولم يحصل له شرف القتال فيها، تحمسوا للخروج إليهم ومنازلتهم في أماكنهم، فنزل الرسولﷺ عند رأيهم فتجهز رسول الله ﷺ ، ثم خرج إلى المسلمين، وهو متقلد سيفه، فندم الذين أشاروا عليه بالخروج إذ كانوا سببا في حمله على خلاف رأيه، وقالوا للرسول ﷺ : ما

[1] – انظر الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى ت 671هـ ، تحقيق أحمد البردونى ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية 1384هـ، 1964م ، 252/4 .

كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت أو اقعد إن شئت، فأجابهم الرسول ﷺ بقوله: «ما كان ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه[1]»[2]

هذا الحوار يرشدنا إلى الاهتمام بشريحة مهمة من المجتمع ألا وهم الشباب، لأن الشباب هم عماد الحياة في السلم والحرب ، ففي السلم هم سواعد تبني، وعقول تفكر ، وتخترع ، وفي الحرب هم الركيزة التي تدور عليها رحى الحرب ، ولا بد للقائد من الاعتماد عليهم، لذلك لما أشار شباب الصحابة على رسول الله ﷺ بالخروج لمناجزة الكفار خارج أسوار المدينة في غزوة أحد ، قبل رسول الله ﷺ برأيهم ، ودارت معركة أحد خارج أسوار المدينة كما أشار شباب الصحابة ، وهذا هو الدور المنوط بالشباب في كل زمان ومكان.

ولكن الناظر إلى شباب اليوم يجدهم تركوا الاشتغال بالأمور الجسام، ورضوا بأن يكونوا مثل بُغاث الطير، فاشتغلوا باللهو واللعب أكثر من اشتغالهم بالفرائض التي فرضت عليهم، وساهموا في إضعاف المسلمين بدلاً من أن يساهموا في قوتهم ، وساهموا في تفكك المجتمعات بدلاً من المساهمة في رتق نسيجها ، أسأل الله أن يوفقهم في العودة إلى رشدهم، ويحملوا رايات البناء والتعمير ، ويقودوا المسلمين إلى آفاق المجد والعزة والكرامة .

[1] – أخرجه البخارى فى صحيحه معلقاً ، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول الله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) سورة الشورى الآية 38 ، 112/9 ، ووصله أحمد فى مسنده ، 99/23 حديث رقم 14787 عن جابر بن عبد الله ﷺ ، وقال ابن حجر فى تغليق التعليق على صحيح البخارى ، 332/5 : رواه أحمد فى مسند جابر وإسناده صحيح، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ، 107/6 ، حديث رقم 10057 : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

[2] – انظر السيرة النبوية لابن هشام ، مرجع سابق ، ص63 بتصرف

خامساً: حواره مع عمر بن الخطاب ﷺ فى صلح الحديبية :-

وذلك لما صالح رسول الله ﷺ قريشا في الحديبية سنة ثمان من ذي الحجة، فرأى بعض الصحابة في بنود الصلح إعطاءً للدنية في دين الإسلام، ومن هؤلاء الصحابة الناقمين على بنود الصلح الصحابي الجليل عمر بن الخطاب ﷺ ، فقد أبدى عدم رضاه عن بنود الصلح ، فقد روى مسلم عن أبي وائل، قال: قام سهل بن حنيف يوم صفين، فقال: أيها الناس، اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول اللهﷺ وبين المشركين، فجاء عمر بن الخطاب، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطى الدنية في ديننا، ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم، فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا، قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا، قال: فنزل القرآن على رسول اللهﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «نعم»، فطابت نفسه ورجع[1]

هذا الحوار يعكس لنا التواضع الذي كان يتصف به أولئك الأخيار، سواء كانوا حكاماً ، أو محكومين ، فعلى الرغم من حدوث بعض الخلافات، والتي مردها إلى اختلاف الفهم في تقدير الأمور الذي اقتضته حكمة الله تعالى لتمايز البشر، إلا أن الناظر إلى سيرتهم يجد أن النبي ﷺ لم يقسُ على أحد من أصحابه

[1] – أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية ، 1411/3 حديث 1785 عن سهل بن حنيف ﷺ

، وإن خالفه الرأي ، بل كان يعاملهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، كيف لا وهو الموصوف بالخُلق العظيم ، في قوله تعالي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ، وما حديث أنس بن مالكﷺ في معاملة رسول الله ﷺ له إلا تجسيداً لهذا المعنى ، فقد روى مسلم وغيره ، عن أنس بن مالك، قال: " خدمت رسول الله ﷺعشر سنين، والله ما قال لي: أفِ قط ، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟[2].

وهذا ما ظهر لنا في هذا الحوار المسؤول معه ﷺ ، وعمر بن الخطاب ﷺ ، وكذا الحال بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم ، فلم يكن الواحد منهم يخاف ويرتعد من إبداء رأيه وإن خالف فيه النبي ﷺ ، على عكس ما نحن عليه اليوم ، حيث يحرص الرعية إلا القليل على عدم مخالفة الحاكم في كل ما يقوله لأجل الظفر برضاء الحاكم وعطائه.

ولا شك أن فى التعامل بين المسلمين في العهد النبوي ، أسوة حسنة لأهل هذا الزمان حكاماً ومحكومين أسأل الله العظيم أن يوفقنا في السير على نهجهم، والاقتداء بهم، وبلوغ مبلغهم.

المطلب الثاني: نماذج من الحوار النبوي مع مشركي مكة

أولاً: حواره ﷺ مع عمه أبى طالب حينما طلب منه الكف عن آلهة المشركين:-

وذلك لما طلب المشركون من أبي طالب أن يكف ابن أخيه عن تضليل آبائهم وسب آلهتهم ، بعث إلى رسول اللهﷺ، فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول اللهﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه

[1] – سورة القلم الآية (4)

[2] – أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً، 1804/4 حديث 2309 عن أنس ﷺ

خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدا[1] .

إن الثبات على المواقف المرتبطة بالدين لا بد له من إيمان راسخ، وعزيمة صادقة ، لأن حميَّة الجاهلية لا يمكنها الثبات على المواقف أمام ابتلاءات الدعوة إلى الله ، وهى لا تقف مع المسلمين إلا من منطلق حمية الجاهلية ، فما أن تُصَادَم بأقل ابتلاء إلا وتركن إلى المداهنة والتنازل ، على عكس أصحاب الأيمان الراسخ فإن مواقفهم من قضايا الدين ، مواقف ثابتة، لا تقبل التنازل والمداهنة في الدين ، وإن كلفهم ذلك حياتهم وأولادهم وأموالهم ، فالناظر إلى موقف أبى طالب – الذي كان علي دين قومه، ووقف مع رسول الله ﷺ حمية منه لأنه ابن أخيه – يجد فيه الاستعداد للتنازل عن موقفه ، وقبول ما أراده المشركون ، بينما كان رد رسول الله ﷺ لعمه يدل على إيمان راسخ لا تزحزحه الجبال ، وعقيدة وضَّاءة لا يزيغ عنها إلا هالك ، فكيف بمن هو على هذه الحال أن يتخاذل ، لا شك أن هذا ما لا يكون أبداً.

وقد أرسى لنا رسول الله ﷺ دعائم الثبات على الإسلام، على الرغم مما كان يتعرض له من ابتلاءات ومحن نظير هذا الثبات ، وقد استن الصحابة رضي الله عنهم بعده بهذه المبادئ ، فكانوا يضحون بأموالهم وأبنائهم وأرواحهم

[1] – تقدم تخريجه، ص12 .

في سبيل هذا الدين ، وما قصة صبر آل ياسر[1] وبلال بن رباح[2] على التعذيب ببعيد ، وما قصة صهيب الرومي وتركه كلَّ ماله للمشركين مقابل أن يخلوا سبيله ليلحق برسول الله ﷺ ببعيد[3] ، وغير ذلك من النماذج الخالدة التي كانت وستكون تاريخاً ناصعاً وقدوة حسنة للأجيال الحاضرة والمستقبلة .

ثانياً: حواره ﷺ مع عمه أبي طالب أثناء مرضه الذي توفي فيه :-

روى مسلم عن المُسيَّب بن حزْن ، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول اللهﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال رسول اللهﷺ: " يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله "، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول اللهﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول اللهﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك »، فأنزل الله عز وجل:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[4] ، وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول

---

[1] – أخرجها الطبراني في المعجم الأوسط من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وقال الهيثمي في المجمع (9/ 293) : رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوّم، وهو ثقة .

[2] – انظر سيرة ابن اسحق ، لمحمد بن اسحق بن يسار المطلبي ولاءً ، المدني ، ت151هـ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ط1: 1398هـ-1978م ، ص190-191 .

[3] – وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (2/ 522- 523) ، والحاكم في «المستدرك» (3/ 400) وصحّحه ووافقه الذهبي

[4] – سورة التوبة الآية (113)

اللهﷺ :﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

هذا الحوار يعكس لنا حرصه ﷺ على أن لا يفلت من الإسلام أحد، وهذا يظهر لنا بفعله وقوله ﷺ ، ففي هذا الحديث طمع ﷺ في إسلام عمه أبي طالب قبل موته ، وهذا نابع مما جُبِل عليه ﷺ من حب الخير للناس، وحرصه ﷺعلى أن لا يدخل أحد من أمته النار، وقد تضاعف هذا الحرص مع عمه أبي طالب لفضائل عمه عليه ، لذلك جاءه في مرضه الذي مات فيه ، ليُلقَّنه الشهادة ، ثم أقسم ﷺ على الاستغفار لعمه ، حتى أنزل الله عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[2]، وأُنزل عليه في شأن أبي طالب قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[3].

هذا ما يلحظه كل مهتم بسيرته وتصرفاته ﷺ ، أثناء فترة الدعوة إلى الله فتجده في كل المواقف التي يحاول فيها أعداؤه إلحاق الأذى به ، أو محاولة قتله ، فعندما ينجيه الله ويمكنه من أعدائه يقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

ومن ذلك أنه لما هاجر إلى أهل الطائف ليبلغهم رسالته لعله يجد منهم من يؤازره ويسانده ، فردوا عليه بأن أغروا سفهاءهم وعبيدهم فرموه بالحجارة حتى أُدميت قدماه الشريفتان ، فلما جاءه ملك الجبال، وقال له: إن أردت أن أطبق

[1] – سورة القصص الآية (56) ، والقصة أخرجها مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله ، (54/1) ح39 عن المسيب بن حزن ﷺ

[2] – سورة التوبة الآية (113)

[3] – سورة القصص الآية (56)

عليهم الأخشبين ، فقال له ﷺ: إني أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا[1].

ومن ذلك لما وجد أحد الأعراب رسول الله ﷺ نائما تحت شجرة وسيفه معلقٌ في أغصانها أخذ الأعرابي السيف وهزه في وجه رسول الله ﷺ بعدما استيقظ من نومه وقال لرسول الله ﷺ: من يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ: الله، فسقط السيف من الأعرابي وأخذه رسول الله ﷺ، وقال للأعرابي: من يمنعك مني؟ فقال الأعرابي: كن خير آخذ ، فقال له رسول الله ﷺ : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ﷺ ، فقال الأعرابي: أعاهدك على أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله رسول الله ﷺ ، فذهب الأعرابي إلى قومه وقال لهم: جئتكم من عند خير الناس[2].

ومن ذلك أنه ﷺ لما بَعَثَ أسامة بن زيد في سرية ، ولحقوا بأحد الكفار، فقال الكافر: لا إله إلا الله، فقتلوه اعتقادا منهم أنه قالها خوفا منهم، واتقاء بطشهم، فلما أخبروا رسول الله ﷺ بذلك ، عاب عليهم فعلهم هذا، وجعل يردد لأُسامة ، أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله[3].

ثالثاً: حواره ﷺ مع عتبة بن ربيعة لما أراد مساومته في شأن الدعوة :

روى أبو يعلى أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدا، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف

---

[1] – أخرجها مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، 1420/3 حديث1795 عن عائشة رضى الله عنها

[2] – تقدم تخريجه، ص2 .

[3] – أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلي الحرقات ، من جُهينة ، 144/5 حديث4269 عن أُسامة بن زيد ﷺ

عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول اللهﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت ياأبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا في أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[1] ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول

[1] – سورة فصلت الآيات (1–5)

اللهﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك[1].

قال محمد سعيد البوطي: فى هذا المشهد الذي عرضناه من سيرته ﷺ ثلاث دلالات، كل واحدة منها على جانب كبير من الأهمية.

الدلالة الأولى: وهي توضح لنا في تمحيص دقيق حقيقة الدعوة التي قام بها رسول اللهﷺ، وتفصلها عن كل ما قد يلتبس بها من الأهداف والأغراض التي قد يضمرها في أنفسهم عادة أرباب الدعوات الجديدة والمنادون بالثورة والإصلاح.

الدلالة الثانية: وهي تبين لنا معنى الحكمة التي كان رسول اللهﷺ يتمسك ويتصف بها.

هذه الحكمة تتجسد في أن الشريعة الإسلامية تعبدتنا بالوسائل كما تعبّدتنا بالغايات، فليس لك أن تسلك إلى الغاية التي شرعها الله لك إلا الطريق المعينة التي جعلها الله وسيلة إليها، وللحكمة والسياسة الشرعية معان معتبرة، ولكن في حدود هذه الوسائل المشروعة فقط .

الدلالة الثالثة: ونستفيدها من موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من تلك المطالب التي طلبتها قريش منه ﷺ شرطاً لاتباعها له، فليس السبب في عدم استجابة الله لهم ذلك، ما قد يظنه البعض من أن الرسولﷺ ما أوتي من المعجزات إلا معجزة القرآن، ولذلك لم تستجب لهم مطالبهم، وإنما السبب أن الله عز وجل علم أنهم إنما يطالبون بذلك كفرا وعنادا وإمعانا في الاستهزاء بالنبي ﷺ ، ولو علم الله عز وجل فيهم صدق الطلب وحسن النية وأنهم مقبلون في ذلك على

[1] – انظر السيرة النبوية لابن هشام ، مرجع سابق ، (293/1–294) ، والقصة أخرجها أبو يعلى في مسنده ، (349/3) ح1818 عن جابر بن عبد الله ﷺ ، بإسناد حسن فيه أجلح بن عبد الله الكندى ، قال فيه ابن حجر صدوق ، ووثقة يحيى بن معين ، وباقى رواته ثقات .

محاولة التأكد من صدق النبي عليه الصلاة والسلام، لحقق لهم ذلك، وإذا علمت ذلك، أدركت أنه لا تنافي بين هذا وما ثبت من إكرام الله لنبيه عليه الصلاة والسلام بالمعجزات الكثيرة المختلفة[1]

رابعاً: حواره ﷺ مع سهيل بن عمرو في صلح الحديبية :-

روى مسلم عن سهل بن حنيف ﷺ أنه لما جاء سهيل بن عمرو لإبرام الصلح مع رسول الله ﷺ في الحديبية قال سهيل: هات فاكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أما الرحمن فو الله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبيﷺ: اكتب باسمك اللهم ، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول اللهﷺ، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول اللهﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبيﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، قال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما، فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبيﷺ: أنا لم نقض الكتاب

[1] – انظر فقه السيرة ، لمحمد سعيد البوطي ، مرجع سابق ، ص82–85 بتصرُّف .

بعد، قال: فو الله إذا لم أصالحك على شيء أبدا، قال النبيﷺ: فأجزه لي، قال ما أنا بمجيزه لك ، قال: بلى فافعل ، قال: ما أنا بفاعل[1].

هذا الحوار لا يعلم مقاصده العليا إلا رسول الله ﷺ ، لأن ظاهره فيه تحامل علي المسلمين وباطنه فيه نصر وخير عظيم ، فهو كما قال تعالي ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] ، وقد تحقق هذا الخير عندما فتح المسلمون مكة ، فتحا لم يكلفهم أدنى خسائر في الأرواح والعتاد ، وخضع لهم يوم هذا الفتح كفار مكة الشريف منهم والوضيع ، فتحقق لهم نصر عريض، بشَّر الله به نبيه ﷺ ، في قوله تعالي ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[3].

ولو أُبرِم هذا الصلح مع آخر غير رسول الله ﷺ ، لبرز بسببه خلاف عظيم ، ولما تخلف أحد ممن حضره في نقده ، وهنا تظهر لنا الحكمة النبوية المدعومة من وحي السماء ، فقد يكون النبي ﷺ أوحي إليه من رب السماء بقبول هذا الصلح ، وإن لم ينقل ذلك عمن حضر الصلح من الصحابة ؛ لأن الخير المستبطن في هذا الصلح غيب لا يعلمه إلا الله ، وهذا ما ظهر في إجابة النبي ﷺ للصحابي الجليل عمر بن الخطاب ﷺ ، لما اعترض على بنود الصلح ، فقال له النبي ﷺ : إني رسول الله ولن يضيعني.

---

[1] – أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية ، 1411/3 حديث 1785 عن سهل بن حنيف ﷺ وانظر القصة بتفصيل في البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، الدمشقي ، ت774هـ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، بدون طبعة ، دار المعرفة ، بيروت ، 1395هـ – 1976م ، جزء3 ص334،333 .

[2] – سورة البقرة الآية (216)

[3] – سورة الفتح الآية (1)

وهنا يبرز سؤال مهم ألا وهو: هل يجوز للمسلم أن يتنازل عن بعض قيم الدين مقابل أن يُضمن له الأمن وحرية التعبد ، والجواب أن هذا جائز ولا حرج فيه ، لأن المسلمين تفرقوا في الأمصار لأغراض شتى ، فمنهم من هاجر طلباً للرزق ، أو طلباً للعلم ، ومنهم من بعثته دولته لمهمة رسمية، فهؤلاء قد تكون وِجهتهم إلي دولة لا إسلامية ، أو علمانية ، فإذا لم يُجَوِّز لهم الدين الإسلامي العيش في هذه الدول التي هاجروا إليها، لتعطلت مصالحهم ، ولوجدوا مشقة في سبيل العيش الكريم ، وقد جاء الدين الإسلامي ليرفع الحرج والمشقة عن الناس ، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] ، وقال : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2]، وهذا ما أكده الله في كتابه حيث قال تعالي: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ في الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ في الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3] ، أما إذا تم التضييق علي المسلم في بلاد غير المسلمين بحيث لا يستطيع أداء شعائر دينه بحرية ، فحينها لا يجوز له المُكث في مثل هذه البلاد ، بل عليه أن يهاجر إلي دولة أُخرى يضمن فيها أداء شعائر دينه بحرية وأمن والله أعلم .

المطلب الثالث: نماذج من الحوار النبوي مع أهل الكتاب:-

أولاً: نماذج من حواره ﷺ مع النصارى:-

1- حواره مع نصارى نجران:-

[1] – سورة الحج الآية (78)

[2] – سورة البقرة الآية (185)

[3] – سورة الممتحنة الآيتان (8-9)

وذلك بعد أن حاجّ النصارى النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام وقولهم إنه إله أو ابن الله فأنزل الله عليه ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] ، أي فمن حاجك يا محمد ﷺ في شأن عيسى عليه السلام ، من حيث كونه إلها أو ابن إله أو غير ذلك من الترهات الباطلة، بعد أن علمت من شأنه ما علمت، وذلك بعلم الله الذي أعلمك أياه، ووحيه الذي أوحاه إليك، فلا تبادلهم حجة بحجة ؛ لأنهم لا يؤمنون بحقيقة ما يقولون، ولا يذعنون للحق الذي تقول، وإن كانوا يعلمونه، فلما قرأ رسول اللهﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة[2] قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غدا، فخلا بعضهم ببعض، فقالوا للعاقب وكان ذا رأى فيهم : يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم الفصل من أمر صاحبكم، والله ما لاعن قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن نعمل ذلك لنهلكن، فإن رأيتم إلا البقاء لدينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول اللهﷺ، وقد غدا رسول الله محتضنا الحسين، آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه، وعلي ﷺ خلفها وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة ،

[1] – سورة آل عمران الآية (61)

[2] – المباهلة من ابتهل إلي الله أي تضرع واجتهد في الدعاء ، والقوم باهل بعضهم بعضاً أي اجتمعوا فتداعوا فاستنزلوا لعنة الله علي الظالم ، انظر المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفي ، وأحمد الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد النجار ، تحت رعاية مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة للنشر ، ص74 .

فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك ونثبت على ديننا، فقال رسول الله ﷺ: فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم ، فأبوا، قال: فإني أنابذكم بالحرب، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة ، ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ، ولا تخيفنا ، ولا تردنا عن ديننا ، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي سكة، ألفا في صفر وألفا في رجب، فصالحهم رسول اللهﷺعلى ذلك[1].

هذه القصة فيها تأصيل لمعاهدة أهل الكتاب وبِرّهم إذا لم يناصبوا المسلمين العداء ، بدليل قوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2] وفِعل رسول الله ﷺ حيث عاهد اليهود بالمدينة، وعاهد نصارى نجران في هذه القصة ، ولم ينقض رسول الله ﷺ عهده معهم إلا بعد أن بدأوا هم بنقض العهد ، وعليه يجوز للمسلمين في كل زمان ومكان أن يعاهدوا أهل الكتاب ويتفقوا معهم علي بنود صلح تحفظ للمسلمين عقيدتهم ، كما يجوز للمسلمين أن يقسطوا إليهم ويعاملوهم بالحسنى، في المعاملات المختلفة ، شريطة أن لا يُشَارِكُوا في طقوسهم التي تخالف مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

---

[1] – انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، ط1: 1422، هـ – 2002 م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ج3، ص85– وأصل القصة في صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجران ، 172/5 حديث رقم 4318 عن حذيفة بن اليمان ﷺ

[2] – سورة الممتحنة الآيتان (8،9)

2- حواره ﷺ مع عدي بن حاتم الطائي :-

روى البخاري عن أبي عبيدة بن حذيفة قال: كنت أحدث حديثا عن عدي بن حاتم فقلت: هذا عدي في ناحية الكوفة فلو أتيته فكنت أنا الذي أسمعه منه، فأتيته فقلت: إني كنت أحدث عنك حديثا، فأردت أن أكون أنا الذي أسمعه منك قال: لما بعث الله عز وجل النبيﷺ فررت منه، حتى كنت في أقصى أرض المسلمين، مما يلي الروم، قال: فكرهت مكاني الذي أنا فيه، حتى كنت له أشد كراهية له مني من حيث جئت، قال: قلت: لآتين هذا الرجل، فو الله لئن كان صادقا، فلأسمعن منه، ولئن كان كاذبا، ما هو بضاري، قال: فأتيته، واستشرفني الناس، وقالوا: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم، قال: فقال لي: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، قال: قلت: إني من أهل دين، قال: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم ، قال: قلت: إني من أهل دين ، قالها ثلاثا، قال: أنا أعلم بدينك منك ، قال: قلت: أنت أعلم بديني مني؟ قال: نعم، قال: أليس ترأس قومك؟ ، قال: قلت: بلى، قال: فذكر محمد الركوسية، قال كلمة التمسها يقيمها، فتركها قال: فإنه لا يحل في دينك المرباع، قال: فلما قالها، تواضعت مني هنية، قال: وقال: إني قد أرى أن مما يمنعك خصاصة تراها بمن حولي، وأن الناس علينا ألب واحد، هل تعلم مكان الحيرة؟ قال: قلت: قد سمعت بها، ولم آتها، قال: لتوشكن الظعينة أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف بالكعبة، ولتوشكن كنوز كسرى بن هرمز أن تفتح، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز ، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ثلاث مرات، وليوشكن أن يبتغي من يقبل ماله منه صدقة، فلا يجد، قال: فلقد رأيت اثنتين: قد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالكعبة، وكنت في الخيل التي غارت، على المدائن، وايم الله لتكونن الثالثة، إنه لحديث رسول اللهﷺ حدثنيه[1] .

[1] – تقدم تخريجه، ص10 .

هنا نجد أن النبي ﷺ أعطانا درساً في التعامل السمح ، والحكمة في الدعوة إلى الله ، ليعتبر من يريد الاعتبار ، ويستن من يريد الاستنان ، فهو هنا يبين لنا أهمية اطلاع الداعية على عقيدة المدعو ، ليلقمه الحجة من دينه، وفي ذلك إرشاد لكل داعية في سبيل الله ، أن يجتهد في تحصيل العلم ، وأن يلم بصورة وافية على العلوم التي يحتاج لها في دعوته إلى الله، مثل علم الأديان وعلم الفقه وأصوله، والعقيدة وغيرها مما يساعده في كسب ثقة المدعوين ، ونجاح دعوته ، لأن الداعية إذا كان غير متسلحاً بالعلم، أو كان لا يعلم عن عقائد من يدعوهم شيئاً فإن دعوته ستُرَد عليه، ولن يجد من يستجيب له ، وقد يقع في فخ شبهات العلمانيين والملحدين فلا يستطيع الخروج منها ، ففي هذا الحوار قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم: أسلم تسلم ، فقال له عدي بن حاتم: أنا من أهل دين ، فلم يشتط عليه النبي ﷺ ، ولم يقل له إن دينك باطل ، أو منسوخ ، بل بدأ يجادله بالحسنى ، وألقمه الحجة من دينه ، وهو عقيدة الركوسية ، فقال له: ألست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك ، فبهت عدي بهذه الحجة التي كان يظن أن النبي ﷺ لا يعلمها ، فأسلم وحسن إسلامه .

ثانياً: حواره ﷺ مع اليهود :-

1-حواره ﷺ معهم بعد الهجرة إلى المدينة :-

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول اللهﷺ المدينة فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول اللهﷺ: «خبرني بهن آنفا جبريل» قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول اللهﷺ: " أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل

إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها " قال: أشهد أنك رسول اللهﷺ، ثم قال: يا رسول اللهﷺ إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول اللهﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول اللهﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبد الله، قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول اللهﷺ، فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه[1].

هذا الحوار بأطرافه المتباينة فكراً ومنهجاً يوضح لنا حقائق مهمة وثابتة لا تتغير وإن تغير الزمان والمكان هي :-

أ- إن الحق أبلج ، وأن كل من يطلب الحق ، ويتجرد عن الأغراض ، وعن كل ما من شأنه إخراج العقل عن وظيفته الأساسية ألا وهي بيان الحق من الباطل كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2]، لا شك أنه سيهتدي إلى الحق ويتبعه ، بمجرد معرفته له ، وإن كان هذا الحق على خلاف ما هو عليه من عقيدة أو فكر ، فهنا نجد عبد الله بن سلَام ، حبر اليهود ، لما تبين له أن محمداً ﷺ نبي حقاً ، من خلال ما تبين له من دلالات النبوة ، اتبع الحق وأشهر إسلامه .

ب- إن اليهود قوم بهت دأبوا على الكراهية للإسلام والمسلمين ، فعلى الرغم مما ظهر لهم من دلالات نبوة محمد ﷺ إلا أنهم ناصبوه العداء ، وطفقوا عداءً للإسلام والمسلمين ، وأصبح هذا طبعهم قديماً وحديثاً ، ففي هذا الحديث الصحيح تحول عبد الله بن سلَام في نظرهم من أعلمهم وخيرهم إلي شرهم وابن شرهم

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته ، 132/4 حديث 3329 عن أنس بن مالك ﷺ

[2] – سورة الإنسان ، الآية (3)

خلال دقائق لمجرد أنهم علموا بإسلامه ، فهم كما قال الله فيهم : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1]

2-حواره ﷺ معهم لما سألوه عن عقوبة الزنا:-

روى مسلم عن عبد الله بن عمر ، أن رسول اللهﷺ أُتي بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول اللهﷺ حتى جاء يهود، فقال: «ما تجدون في التوراة على من زنى؟» قالوا: نسود وجوههما، ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويُطاف بهما، قال: «فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين»، فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بأية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على أية الرجم، وقرأ ما بين يديها، وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول اللهﷺ: مره فليرفع يده، فرفعها فإذا تحتها أية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ، فرجما، قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيهما من الحجارة بنفسه[2].

هذا الحوار يؤكد لنا طبع اليهود الموقن في الغدر والدس والتآمر، وما دأبوا عليه من عدم الورع واللا مبالاة من مخالفة دينهم الذي يدينون ، وهذا يثبت لنا فعلهم الشنيع في تحريف التوراة التي أُنزلت عليهم ، فهم كما قال الله فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3] ، ونشير إلى أن النبي ﷺ لم يأمرهم بالإتيان بالتوراة ليطبق عليهم الحكم الوارد فيها ، إذ أنه ﷺ مأمور بتطبيق شريعة الإسلام لا غير ، وإنما أمرهم

[1] – سورة البقرة الآية (120)

[2] – أخرج القصة مسلم في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ، 1326/3 حديث1699 عن عبد الله بن عمر ﷺ

[3] – سورة المائدة الآية (82)

بذلك ليلزمهم العقوبة من دينهم وقد كان رسول الله ﷺ يعلم أنها توافق عقوبة الإسلام .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

بعد هذه الدراسة الموجزة لهذا الموضوع، التي أحسبها وافية له، أخلص إلى إبراز النتائج التي توصلت إليها حيث جاءت كالآتي :-

1. كان النبي ﷺ يحرص على الحوار للناس كافة، مسلمهم وكافرهم، ليهتدي من يهده الله، ويستقيم على الحق من يبتغي الحق.

2.كان النبي ﷺ في حواره مع الصحابة يلتزم السماحة واحترام الرأي الآخر.

3.حاور النبي ﷺ عدداً من الصحابة ، منهم خبَّاب بن الأرتﷺ حين طلب من النبي ﷺ الدعاء للمسلمين ، وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما في شأن أسرى بدر، وعمر بن الخطابﷺ في شأن بنود صلح الحديبية، وشاورهم وحاورهم في المنزل يوم بدر ، وفى الخروج أو البقاء بالمدينة يوم أحد، مهتدياً برأيهم معتمداً عليه في قراراته.

4.حاور النبي ﷺ عدداً من المشركين داعياً إياهم إلى الإيمان بالله ، ملتزماً الحُسنى في دعوته مما قاد الكثيرين منهم إلى الدخول في الإسلام .

5.حاور النبي ﷺ عمه أبا طالب وهو في مرض الموت ، رجاءً منه ﷺ في إسلام عمه ، وهذا ما كان يحرص عليه ﷺ مع سائر الناس .

6.حاور النبي ﷺ عتبة بن ربيعة عندما طلب عتبة من النبيﷺ الكف عن آلهة المشركين مقابل تحقيق جميع طلباته من متاع الدنيا ، فرفض النبيﷺ كل ما قدمه عتبة من مغريات الدنيا، وثبت على مبدئه في الدعوة إلى الله.

7.حاور النبي ﷺ سهيل بن عمرو حول بنود صلح الحديبية ، فتنازل رسول الله ﷺ في هذا الصلح عن بعض الحقوق على أمل تحقيق المصلحة العليا للمسلمين، وقد جنا المسلمون ثمار هذا الصلح بفتح مكة.

8.حاور النبي ﷺ نصارى نجران في أمر عيسى عليه السلام ، وأنه عبد الله ورسوله ، فلما رفضوا حجته دعاهم إلى المباهلة فأبوا ، وعاهدوا رسول الله ﷺ على دفع الجزية فأقرهم على ذلك .

9.حاور النبي ﷺ عدِي بن حاتم الطائي ، ودعاه إلى الإسلام ، وأقام عليه الحُجَّة من دينه فأسلم حاتم وحسن إسلامه .

10.حاور النبي ﷺ اليهود فأسلم حبرهم عبد الله بن سَلَام بعد أن رأى دلائل الحق ، وأعرض أكثرهم عن الحق بعد ما تبين .

11.حاور النبي ﷺ اليهود في عقوبة الزنا في دينهم فأخفوا العقوبة وهي الرجم، وعلم النبي ﷺ بها بعد أن أشار إليه حبرهم عبد الله بن سلام ، فطبقها عليهم .

12.للحوار ضوابط وآداب يجب على من يتصدى له تحقيقها قبل الخوض فيه منها: أن يكون الحوار بالحسنى، وأن يُرد الحوار عند الاختلاف إلى الله ورسوله، والنأي بالنفس عن المراء وتقبل ما يفضي إليه الحوار من الحق، وأن يدور الحوار في المسائل التي يجوز فيها الإجتهاد وعدم التنازل عن الثوابت الإسلامية فيه، وأن يتسلح المحاوِر بالعلم والمعرفة، وأن يحرص المحاوِر على انتقاء العبارات التي تستلطف المُحاوَر معه، وأن يكون المحاوِر –لا سيما الداعية إلى الله– حريصاً على إدخال غير المسلمين في الإسلام، وأن يسلك المحاوِر الوسائل المشروعة لتحقيق الغايات المشروعة، وأن يبدأ المحاوِر حواره مع أهل الكتاب ببيان الثوابت المتفق عليها بين الإسلام وأديانهم، وأن يقبل المحاوِر رأي من يحاورهم ولا يشطط عليهم في رأيٍ رأوه .

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. إحياء علوم الدين ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) ، الناشر: دار المعرفة – بيروت .

3. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ) ، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م .

4. وضح التفاسير ، محمد عبد اللطيف الخطيب ، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها ، الطبعة: السادسة، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م

5. البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: 1407 هـ - 1986 م .

6. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م .

7. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة: الأولى، 1422هـ .

8. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى:

671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م .

9. الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه ، لأحمد بن سيف الدين تركستاني ، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات .

10. الخصائص الكبرى ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

11. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – 1405 هـ .

12. زهرة التفاسير ، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) ، دار النشر: دار الفكر العربي .

13. سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

14. سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) ، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر، وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م .

15. سيرة ابن إسحاق، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ) ، تحقيق: سهيل زكار ، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م .

16. السيرة النبوية – دروس وعبر ، لمصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ) ، الناشر: المكتب الإسلامي ، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م .

17. السيرة النبوية ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) ، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م .

18. السيرة النبوية ، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ) ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق ، الطبعة: الثانية عشرة - 1425 هـ .

19. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الخامسة والعشرون - 1426 هـ .

20. لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ .

21. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ) ، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م .

22. المراسيل ، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) ، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1408 .

23. مسند أبي يعلى ، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ) ، المحقق: حسين سليم أسد ، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة: الأولى، 1404 – 1984.

24. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) ، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

25. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ = صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

26. مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطابﷺ وأقواله على أبواب العلم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، المحقق: عبد المعطي قلعجي ، دار النشر: دار الوفاء – المنصورة ، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م .

27. المعجم الأوسط ، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) ، المحقق: طارق بن عوض الله ابن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة

28. المعجم الوسيط ، تحت رعاية مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تأليف ، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، الناشر: دار الدعوة .

29. المغازي ، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: 207هـ) ، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1989/1409.

30. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي .

31. وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، لعبد الرب نواب الدين آل نواب، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.